

التحرير والتنوير

و (أقبره) جعله ذا قبر وهو أخص من معنى قبره أي أن ا سبب له أن يقبر . قال الفراء : " أي جعله مقبورا ولم يجعله ممن يلقي للطير والسباع ولا ممن يلقي في النواويس " جمع ناووس صندوق من حجر أو خشب يوضع فيه الميت ويجعل في بيت أو نحوه " .
والإقبار : تهيئة القبر ويقال : أقبره أيضا إذا أمر بأن يقبر ويقال : قبر الميت إذا دفنه فالمعنى : أن ا جعل الناس ذوي قبور .

وإسناد الإقبار إلى ا تعالى مجاز عقلي لأن ا ألهم الناس الدفن كما في قصة دفن أحد ابني آدم أخاه بإلهام تقليده لفعل غراب حفر لغراب آخر ميت حفرة فواراه فيها وهي سورة العقود فأسند الإقبار إلى ا لأنه ألهم الناس إياه . وأكد ذلك بما أمر في شرائعه من وجوب دفن الميت .

والقول في أن صيغة الماضي مستعملة في حقيقتها ومجازها نظير القول في صيغة (أماته) . وهذه كلها دلائل على عظيم قدرة ا تعالى وهم عدوها قاصرة على الخلق الثاني وهي تتضمن ممن على الناس في خلقهم وتسويتهم وإكمال قواهم أحياء وإكرامهم أمواتا بالدفن لئلا يكون الإنسان كالشيء اللقي يجتنب بنو جنسه القرب منه ويهيئنه التقام السباع وتمزيق مخالب الطير والكلاب فمحل المنة في قوله (ثم أماته) هو فيما فرع عليه بالفاء بقوله (فأقبره) وليست الإماتة وحدها منة .

وفي الآية دليل على أن وجوب دفن أموات الناس بالإقبار دون الحرق بالنار كما يفعل مجوس الهند ودون الإلقاء لسباع الطير في ساحات في الجبال محوطة بجدران دون سقف كما كان يفعله مجوس الفرس وكما كان يفعله أهل الجاهلية بموتى الحروب والغارات في الفيا في إذ لا يوارونهم بالتراب وكانوا يفتخرون بذلك ويتمنونه قال الشنفرى : .

لا تقبروني إن قبري محرم ... عليكم ولكن أبشري أم عامر يريد أن تأكله الضبع وأبطل الإسلام ذلك فإن النبي A دفن شهداء المسلمين يوم أحد في قبور مشتركة ووارى قتلى المشركين ببدر في قليب قال عمرو بن معد يكرب قبل الإسلام : .

آليت لا أدفن قتلاكم ... فدخلوا المرء وسرياله وجملة (ثم إذا شاء أنشره) رجوع إلى إثبات البعث وهي كالنتيجة عقب الاستدلال . ووقع قوله (إذا شاء) معترضا بين جملة (أماته) وجملة (أنشره) لرد توهم المشركين أن عدم التعجيل بالبعث دليل على انتفاء وقوعه في المستقبل و (إذا) ظرف للمستقبل ففعل المضي بعدها مؤول بالمستقبل . والمعنى : ثم حين يشاء ينشره أي نشره حين تتعلق مشيئته بإنشاره .

وأنشره بعثه من الأرض وأصل النشر إخراج الشيء المخبأ يقال : نشر الثوب إذ أزال طيه ونشر الصحيفة إذا فتحها ليقراها . ومنه الحديث " فنشروا التوراة " .
وأما الإنشار بالهمزة فهو خاص بإخراج الميت من الأرض حيا وهو البعث فيجوز أن يقال : نشر الميت والعرب لم يكونوا يعتقدون إحياء الأموات إلا أن يكونوا قد قالوه في تخيلا تهم التوهمية . فيكون منه قول الأعشى : .

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجا للميت الناشر ولذلك قال الله تعالى (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) .
وفي قوله (إذا شاء) رد لشبهتهم إذ كانوا يطلبون تعجيل البعث تحديا وتهكما ليجعلوا عدم الاستجابة بتعجيله دليلا على أنه لا يكون فأعلمهم الله أنه يقع عندما يشاء الله وقوعه لا في الوقت الذي يسألونه لأنه موكل إلى حكمة الله واستفادة إبطال قولهم من طريق الكناية .
(كلا لما يقض ما أمره [23]) E A تفسير هذه الآية معضل وكلمات المفسرين والمتأولين فيها بعضها جاف المنال وبعضها جاف عن الاستعمال . ذلك أن المعروف في (كلا) أنه حرف ردع وزجر عن كلام سابق أو لاحق وليس فيما تضمنه ما سبقها ولا فيما بعدها ما ظاهره أن يزجر عنه ولا أن يبطل فتعين المصير إلى تأويل مورد (كلا) .

فأما الذين التزموا أن يكون حرف (كلا) للردع والزجر وهم الخليل وسيبويه وجمهور نحاة البصرة ويجيزون الوقوف عليها كما يجيزون الابتداء بها فقد تأولوا هذه الآية وما أشبهها بتوجيه الإنكار إلى ما يومية إليه الكلام السابق أو اللاحق دون صريحه ولا مضمونه